دور البعد الديني والاقتصادي في بعث العلاقات التركية الإفريقية (بفترة حكومة العدالة والتنمية)

د. أمين إدريس البار

جامعة العربي التبسي الجزائر

المستخلص:

يلعب البعد الديني والاقتصادي دوراً بالغ الأهمية في العلاقات الدولية، كما ولهما بالغ الأثر في صنع السياسات الخارجية للدول وكذلك توجهاتها، ولعل تركيا خير مثال على ذلك والتحول الجذري في توجهاتها وسياساتها الخارجية من الفترة الكمالية إلى فترة حكم العدالة والتنمية، الذي تلتصق به صفة الحزب ذو التوجه الإسلامي بالرغم من إنكار قادته لهذا التوجه في بداية حكم الحزب، إلا أن توجهات وسياسات الحزب الداخلية والخارجية تؤكد على ذلك، إلا أن تركيا اليوم تسعى جاهدة إلى إعادة بعث نفوذها وعلاقاتها مع الدائرة الإسلامية، كما تسعى جاهدة إلى بعث علاقاتها مع القارة السمراء ويعود ذلك لأهمية إفريقيا في الإستراتيجية التركية باعتبارها منطقة فتية خصبة ومفتوحة على الاستثمارات، ومجال لتنافس القوى العظمى.

Abstract:

The religious and economic dimension plays a very important role in international relations, as they have a great influence on the foreign policy-making of countries as well as their orientations. Perhaps Turkey is a good example of this . and the radical shift in its foreign orientations and policies from the Kemalist period to the period of justice and development, to which the characteristic of the party with The Islamic trend Although its leaders denied this trend at the beginning of the party's rule, the internal and external orientations and policies of the party confirm this. However, Turkey today is striving to re-establish its influence and relations with the Islamic circle, and it also strives to revive its relations with the continent. Because of the

importance of Africa in the Turkish strategy, as a fertile region, open to investment, and an area for great-power competition.

المقدمة

تجلى توجه الإستراتيجية التركية اتجاه إفريقيا منذ عام 1998، ومرّت هذه الإستراتيجية بعدّة مراحل مهمّة، توّجهها رؤية صانع القرار في أنقرة باعتبار إفريقيا عمقاً استراتيجيّاً للدولة التركية المحورية، بعد أن ظلت لعقود على الهامش كدولة طرفية نتيجة لتوجهات الدولة الكمالية والتوجه الغربي الذي اختاره لها أتاتورك، وقد جاءت عودة تركيا إلى إفريقيا متدرجة على مراحل لعل بدايتها الحقيقة كانت في الفترة الممتدة من 2005 إلى غاية 2008 من خلال حضور تركيا للقمة الإفريقية الأولى، ثم تلتها فترة 2008-2011 والتي ميزها زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان إلى مقديشيو، وافتتاح تركيا العديد من السفارات في إفريقيا.

ثم تلتها زيارات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لإفريقيا خلال العام 2016م، والتي جاءت بهدف تعميق الشراكة الإستراتيجية مع إفريقيا، ولتطوير العلاقات مع الدول الأعضاء في المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا ECOWAS وهذه الزيارات سبقتها زيارة إفريقية أخرى غاية في الأهمية، فقد شملت كلاً من: (إثيوبيا، وجيبوتي، والصومال)، في سياق استراتيجية ممنهجة لتوسيع النفوذ التركي في إفريقيا بما يتجاوز ثنائية الاستثمار وإظهار طابعها الإسلامي المحبب للأفارقة.

وعليه توظف تركيا في عودتها الناعمة للقارة الإفريقية كل من العاملين أو البعدين الديني والاقتصادي، واللذان يعتبران أهم عاملين في العلاقات الدولية بالنظر إلى تأثيرهما على توجهات الدول وسياساتها الخارجية، وكذلك يتحكم هذان العاملان في العلاقات بين الدول.

وتنبثق أهمية القارة السمراء بالنسبة للاستراتيجية التركية، من كون هذه الأخيرة تعتبر إفريقيا مجالها الاستراتيجي بحكم علاقاتها التاريخية مع الشعوب الإفريقية، وكذلك باعتبارها مجالا حيويا لتنافس القوى الدولية العظمى التي أصبحت تركيا ترى نفسها من ضمنها،

وبالتالي لابد عليها أن تفرض وجودها في أي إقليم أو منطقة تنافس دولي، لفرض نفسها كقوة دولية منافسة، ومن جهة أخرى يحركها الدافع الاقتصادي لخلق مجال تعاوني وشراكات مع الدول الإفريقية وتوسيع السوق الإفريقية بالقارة السمراء.

المحور الأول: البعد الديني والاقتصادي في العلاقات الدولية.

أولاَ: البعد الديني في العلاقات الدولية:

كما هو معروف أن نهاية حقبة الثمانينات من القرن الماضي كانت نقطة تحول هامة، وشكلت مرحلة تغيرات بنيوية وعميقة وظهوراً متزايداً لمفاهيم وعوامل أولية جديدة لفهم السياسة والعلاقات الدولية، والتي كان الدين أولها وأكثرها بروزاَ، باعتباره كان العامل الأساسي والمحرك للكثير من الصراعات والحروب قبل نهاية الحرب الباردة، وكما أنه يعتبر عامل أساسي في تشكيل السياسات الخارجية للدول خاصة الكبرى منها، وحتى السياسات الداخلية، وأدى إلى تزايد أهمية هذا العامل وتصاعده تزايد الحركات الدينية ونشاطها وتأثيرها على السياسة الدولية.

مصطلح الدين (religion) من المصطلحات الجدلية وصعبة التعريف عند علماء الاجتماع وباحثي الأديان المقارنة، ومحاولة إيجاد مقاربة شاملة لضبط المصطلح تواجه بصعوبة كبيرة نظراَ لاختلاف وتعدد المنظورات والأديان والتعريفات[1]. ويرى ريجيس دوبرية أن كلمة دين ليس ذات مدلول ثابت واحد، يتغير معناها حسب الثقافات واللغات، فكلمة دين عند الهندوس Dhraima تعني الطريق، بينما عند الإغريق Religo تعني النوع، أما في اللغة العبرية فالدين دان ينصرف إلى الحقوق الإلهية[2].

أما في اللغة العربية فهو مشتق من الفعل الثلاثي "دان" وهو تارة يتعدى بنفسه وتارة باللام، وأخرى بالباء، فيختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون (دانه) بمعنى حاسبه وجازاه، وإذا تعدى باللام يكون (دان له) بمعنى خضع له وأطاعه، وإذا تعدى

1 janathan fox and Shmuel sandler. Bringing religion into international relation .New York. palgrave macmillan. 2004 .p2

2 ريجيس دوبرية، المشتركات البشرية بديلا عن الدين، تقديم هبة رؤوف عزت، 2005، نقلا عن : http: www.islamonline.com، تاريخ التصفح (2020/10/11)

بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذه دينا ومذهبا[1]. وعليه فإن مصطلح الدين يعبر عن علاقة بين طرفين، أحدهما له سلطان وملك، والآخر عليه الطاعة والإتباع والولاء.

وبالحديث عن أثر العامل أو البعد الديني في العلاقات الدولية، فقد كان الدين منذ الأزمنة الماضية ومازال أحد أهم العوامل التي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات والدول، فقد قام عرب الحجاز في القرون الوسطى بمهاجمة دولتي الروم والفرس، بدافع نشر العقيدة الدينية (الإسلام)، وشنت أوروبا الغربية الكاثوليكية الحرب الصليبية على ديار الإسلام والمسلمين واليهود هناك، واحتل العثمانيون الأتراك شرق أوروبا وبعضاً من جنوبها من أجل نشر الإسلام هناك[2]. والكثير من الحروب والصراعات عبر التاريخ كان محركها العامل الديني. وقد شهدت أواخر القرن العشرين انبعاثا دينياً في أنحاء العالم، هذا الانبعاث تضمن اتساع الوعي الديني، وبروز الحركات الأصولية وأدى ذلك إلى تقوية الاختلافات بين الأديان[3].

ويمكن القول أن للعوامل الدينية تأثيراً على مستوى حياة الأفراد والمجتمعات وسلوكياتها، وهو ما أدى إلى تأثير أبعادها القيمية على سلوكيات صانع القرار والقوى والنخب الحاكمة، في صياغتها لتوجهات الدول في السياسة الخارجية[4].

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن العامل أو البعد الديني هو متغير في غاية الأهمية من حيث تأثيره على توجهات الدول في صياغة سياساتها الخارجية أو اختيار بدائلها، نظراً لأهمية هذا العامل عند الأفراد والمجتمعات، وهذا ما نلمسه واضحاً مثلا في توجهات تركيا الأتاتوركية، وتركيا الحديثة أو تركيا العدالة والتنمية حيث أن توجهات الأخيرة أخذت منحى مختلفاً تماماً لما كانت عليه في عهد كمال أتاتورك.

1 موسوعة الملل والأديان، نقلا عن : http :www .dorar.net/enc/adyan/5,20108/8/2008 تاريخ التصفح (2020/11/09)
2 فراس سواح، "دين الإنسان" بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، (سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002) ص، 25.
3 فراس سواح، مرجع سابق، ص 26.
4 ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، ط1 (لبنان: دار الكتاب العربي، 1985) ص، 179.

ثانياً: البعد الاقتصادي في العلاقات الدولية.

يمكن رصد أهمية وتأثير العامل الاقتصادي في العلاقات الدولية، من حيث الجوانب النظرية والعملية، فنظرياً تطرح بعض الرؤى النظرية دوره في تحليل العلاقات الدولية حيث يشكل العامل الاقتصادي حجر الزاوية بالنسبة للاتجاه الماركسي التقليدي والجديد، فأولى دول العالم تأثيراً في الساحة الدولية هي تلك الدول التي تستحوذ على أقوي مستوى اقتصادي تاريخياً، واحتل العامل الاقتصادي مكانة متميزة في تفسير بروز ظاهرة الاستعمار والمستعمرات الجديدة لدى الاتجاه الماركسي، نظراً لسعي الدول الأوربية الرأسمالية توسيع الأسواق والبحث عن الموارد الأولية[1].

ويعتبر الاقتصاد في زماننا الحاضر هو العنصر الأكثر فاعلية في التأثير في مجال العلاقات الدولية، وأبرزها لما له من تأثير مباشر على حياة الأفراد والمؤسسات لا بل الدول ذاتها، فالقوة الاقتصادية تعني نسبة عالية من الاكتفاء الذاتي بالإضافة إلى قدرة الدولة على تقديم المساعدات المادية والمعنوية لأصدقائها عندما تدعو الحاجة، لذلك فإن القدرة الاقتصادية تعني قابلية الدولة في إدامة الاقتصاد القوي في السلم والحرب على حد السواء.[2]

أن للدعائم الاقتصادية للدول الحديثة أهمية فائقة في السالم وفي الحرب، ذلك إنها تحدد أوضاع المعيشة والرفاه للسكان وتزودهم بالوسائل اللازمة لتطوير سياسة خارجية ناجحة، كما إنها أساس من صناعات التسليح ويعتمد عليها كثيرا أثناء الحرب.[3]

وللعوامل الاقتصادية جوانب متعددة من التأثير في العالقات الدولية مثل المساعدات والمنح والقروض التي تقدمها الدول النامية للدول الفقيرة، فهذا الجانب يجب عدم إغفاله من ناحية تأثيره في العالقات بين الدول، وفي هذا الإطار تقوم الدول العظمى والدول الكبرى

1 الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، "العوامل المؤثرة في العلاقات الدولية " نقلا عن : https://www.politics-dz.com تاريخ التصفح (2020/11/10)
2 هايل عبد الله طشطوش، مقدمة في العلاقات الدولية، (الأردن: 2010) ص، 18.
3 جوزيف فرانكل، العلاقات الدولية، ترجمة غازي عبد الرحمان لقصيبي تهامة، ط2 (جدة : 1984) ص، 103.

الصناعية بتقديم المساعدات والقروض للدول الفقيرة والنامية لمساعدتها في تنمية مجتمعاتها وصولا إلى تحسين نوعية حياة الإنسان في تلك الدول[1].

المحور الثاني: البعد الديني والاقتصادي في السياسة الخارجية التركية.

أولاَ: البعد الديني في السياسة الخارجية التركية:

يحاول القادة الأتراك توظيف واستغلال البعد الديني في الترويج للسياسة الخارجية التركية خاصة في الأقاليم التي يوجد تقارب هوياتي بينهما وبين تركيا، معتمدين في ذلك على النظرية البنائية التي تعتبر أن البعد الثقافي والديني والقيمي هي أهم محددات السياسة الخارجية.

ويرى العثمانيون الجدد بقيادة حزب العدالة والتنمية أن تركيا يمكن أن تكون المركز في النظام الفرعي الإقليمي ثم في النظام الدولي، وذلك من خلال تبني رؤية واسعة للسياسة الخارجية، والتي تتطلب استحضار إرث القوى العظمى العثماني، وإعادة تعريف هوية البلاد الإستراتيجية والقومية، مع الاعتماد على القوة الناعمة سياسياَ واقتصاديا في الولايات العثمانية السابقة وفي المناطق الأخرى حيث لتركيا مصالح قومية واستراتيجية[2].

وتقدم تركيا نفسها كنموذج للتوفيق بين الحداثة والمعاصرة ومقتضيات المجتمع المدني من ناحية ومسألة الهوية بجذورها التاريخية والدينية في إطار مقبول دولياَ وإقليمياَ[3] وفي الحقيقة أصبح النموذج التركي مثار الإعجاب بالنسبة للدول النامية لما حققه في فترة وجيزة سواء على مستوى الداخل والحياة السياسية والاجتماعية، وانسجام بين فئات المجتمع بعد أزمة الهوية التي عانها الأتراك لفترات طويلة، أو على الصعيد الاقتصادي وما حققته من نمو.

---

1 هايل عبد الله طشطوش، مرجع سابق، ص، 19.
Yucel Bodaglioglu , « Modernity ,Identity , and Turkey ‘s foreign policy », Insight Turkey , (Vol.10 ,No.1,2008) ,p.70.

2 Yucel Bodaglioglu , « Modernity ,Identity , and Turkey ‘s foreign policy », Insight Turkey , (Vol.10 ,No.1,2008) ,p.70

3 مصطفى اللباد، تركيا والعرب شروط التعاون المثمر، من كتاب تركيا تحديات الداخل ورهانات الخارج (قطر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص .218

ويأتي هذا تحديداً مع تغير هوية النخب الحاكمة بعد صعود حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في 2002 فهذا الحزب يمثل الإسلام المعتدل الذي غير صورة تركيا من دولة الهامش أو دولة الجسر إلى دولة المحور والمركز في محيطها، وتحاول تركيا في تحقيق هذه المكانة أهم مقوماتها من موروث تاريخي وحضاري.

وقد صرح رجب طيب أردوغان أن بلاده أصبحت نموذجاً للدول الإسلامية منذ أن زاوجت بين المعطيين الديني والسياسي، في قوله:"تركيا نموذج لمنطقة الشرق الأوسط، فهي بلد تعايش فيه الثقافة الإسلامية والثقافة الديمقراطية بسلام، ومن الطبيعي أن تبرز الهوية الإسلامية بشكل طاغ، وأن تبرز كهوية بديلة، وعلينا أن نؤمن بذلك، ليس فقط بالنسبة للشرق الأوسط وإنما أيضاً بالنسبة إلى القوقاز وآسيا الوسطى وشمال إفريقيا"[1].

وقد عرفت السياسة الخارجية التركية في الفترة التي عرفت بالهوية العثمانية الجديدة، وتحديدا مع حزب العدالة والتنمية الذي خلق نوع من التوليف الهوياتي الإسلامي والعلماني، وقد انعكست هذه الهوية في سياسة خارجية استباقية مرتبطة بالصفات الثقافية والسياسية والجغرافية لتركيا ومسؤوليتها التاريخية اتجاه المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية.

ثانياَ: البعد الاقتصادي في السياسة الخارجية التركية:

يعتبر البعد الاقتصادي من أهم الأبعاد الرئيسية في توجيه السياسة الخارجية التركية، حيث تسعى تركيا إلى تنمية علاقاتها الاقتصادية مع كل الأقاليم من أجل تحقيق المصلحة المشتركة، وذلك من خلال توظيفها أيضاً لمقومات هويتها الوطنية التوظيف الأمثل لتحقيق أهدافها الاقتصادية، وساعدها في ذلك وضعها الجغرافي المتميز في جزيرة العالم الأفرواوراسي.

1 عقيل سعيد محفوض، السياسة الخارجية التركية الاستمرارية – التغيير (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص. 161.

لم تستخدم تركيا القوة الناعمة كخطاب فحسب، بل اتبعت أيضا سياسة القوة الناعمة مع استراتيجيات أخرى، ضمن هذا الإطار استعملت الأداتين الاقتصادية والثقافية[1].

ويتعلق الأمر بالتغير والتطور الواضح في السياسة الخارجية التركية مع صعود حزب العدالة والتنمية منذ عام 2002، الذي اتبع خريطة الطريق التي وضعها أحمد داوود أوغلو المعروفة "بالعمق الاستراتيجي"، التي تتطلب إلى جانب المكانة الإقليمية[2] والدولية وبناء الثقة ... الموارد المادية، ويتطلب ذلك بدوره تفاعلات اقتصادية وتبادلات تجارية واستثمارات واسعة وشراكة مع الدول الأخرى.

المحور الثالث: توظيف البعد الديني والاقتصادي لتوطيد العلاقات التركية – الإفريقية (في عهد حكومة العدالة والتنمية).

تسعى تركيا جاهدت لتوطيد علاقاتها مع القارة السمراء موظفة في ذلك عدة عوامل وأبعاد، ويرى المسئولون الأتراك أن إفريقيا مجال حيوي واستراتيجي بالنسبة لتركيا، حيث صرح السفير التركي أحمد قواس لوكالة الأناضول خلال زيارة العاصمة السنغالية داكار، أن المواطنين الأتراك في أفريقيا ينظرون بإيجابية إلى سياسة الانفتاح التي تنتهجها أنقرة تجاه القارة السمراء، خلال السنوات الأخيرة. وأضاف أن نظرة المواطن التركي تجاه القارة الإفريقية شهدت تغييرًا ملحوظًا، في الفترة الأخيرة، ويريد الأتراك المقيمون في أفريقيا مزيدًا من التطور في العلاقات التركية– الإفريقية[3]. وأوضح أن الروابط المشتركة بين البلدين تساهم بشكل كبير في تعزيز العلاقات المشتركة، فإفريقيا هي أكثر المناطق التي تُسطر فيها السياسة الخارجية التركية نجاحات ملحوظة، مما يثير فضول الدوائر الدولية.

1 Muharrem EKSI. Mehmet Seyfettin EROL , « the Rise and fall of Turkish soft power and public diplomacy » , journal of gazi acadimic view , (Vol.11,Issue 23 , Winter 2018) ,p .9, availabel at : http://bit.ly/2nf5uwd

2 عقيل سعيد محفوض، مرجع سابق، ص. 101.

3 علاء الدين دوغرو، تركيا وايجابية الانفتاح على إفريقيا (مقابلة : السفير التركي، أحمد قواس)، شبكة مواقع الأناضول، نقلا عن : https://www.aa.com.tr/ar، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/20).

ولفت إلى أن تركيا تمتلك سفارات في 42 من أصل 54 دولة إفريقية، وهذا يعني قدرة أنقرة على التفاعل بشكل مباشر مع أكثر من 90 بالمئة من سكان القارة، و35 دولة إفريقية تمتلك سفارات في العاصمة التركية أنقرة، وهذا يعني أن التطور الدبلوماسي يشمل الجانبين، إضافة إلى أن أنشطة المنظمات غير الحكومية التركية في جميع أنحاء أفريقيا، وكذلك السفارات، بدأت تأخذ شكلًا إيجابيًا جدًا[1].

لقد زار أردوغان مقديشيو للمرة الأولى في عام 2011 في فترة مجاعة مهلكة، فكان القائد الغير الإفريقي الأول الذي يزور منذ عقدين من الزمن العاصمة الصومالية التي مزقتها الحرب، وما بدأ بمبادرة إنسانية تطور ليصبح سياسة أشمل، وقدمت أنقرة مساعدات مالية ومشاريع تنموية وفتحت المدارس وانخرطت بدور ريادي في وضع أجندة بناء الدولة، بما في ذلك افتتاح منشأة عسكرية ضخمة لتدريب الجنود الحكوميين الصوماليين[2]. وقد لاقت مقاربة أنقرة في الصومال، التي يتضمنها استعطاف أردوغان للتضامن الإسلامي وحضور فعلي على أرض الواقع مقارنة بالجهات المانحة التقليدية، استحسان وثناء الكثير من الصوماليين. وقد زار أردوغان ساحل العاج في فبراير 2016، وعبر عن رغبة بلاده في تعزيز العلاقات الثنائية مع ساحل العاج، كما زار في الجولة نفسها غانا. ويمثل الانخراط التركي في الصومال النمو الأضخم لسياسة "الانفتاح على إفريقيا" الطموحة التي أطلقتها أنقرة في العام 2005، وهدفت إلى تعزيز الحضور الدبلوماسي والتجاري التركي في أرجاء القارة.

ففي عام 2005 كشفت تركيا الغطاء عن "خطة أفريقيا"، ومن حينها شهدت العلاقات بين أنقرة والعديد من العواصم الأفريقية قفزات نوعية، وانعكس ذلك إيجابيا على حجم التبادل التجاري بين الطرفين فانتقل من نحو ثلاث مليارات دولار سنويا إلى 25 مليار دولار عام

1 علاء الدين دوغرو، مرجع سابق.
2 زاش فرتين، تركيا والوضع الجديد في إفريقيا : مخططات عثمانية أم مخاوف غير مبررة، نقلا عن :
تركيا وإفريقيا ... علاقات اقتصادية واعدة، نقلا عن :
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/economy/2016/3/13، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/12)

2015. وفي أغسطس/آب 2008، احتضنت إسطنبول قمة تركيا/أفريقيا بمشاركة 49 دولة أفريقية وممثلي 11 منظمة إقليمية ودولية من ضمنها الاتحاد الأفريقي، وتعزز فيها التعاون بين الجانبين في شتى المجالات، ونجحت في تعزيز تلك العلاقات خاصة بعدما أصبحت تركيا "شريكا إستراتيجياً" للاتحاد الأفريقي[1].

وأسفرت تلك القمم عن اعتماد وثيقتين مهمتين هما "إعلان إسطنبول للتعاون التركي الأفريقي: التعاون والتضامن من أجل مستقبل مشترك"، و"إطار التعاون للشراكة التركية الأفريقية"، وهما وثيقتان حددتا معالم توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية بين الجانبين[2]. وقد زار أردوغان ساحل العاج في فبراير 2016، وعبر عن رغبة بلاده في تعزيز العلاقات الثنائية مع ساحل العاج، كما زار في الجولة نفسها غانا. كما سعى أردوغان جاهداً في أوائل 2017 لتوطيد العلاقات بين البلدين باعتبار السودان دولة ذات أكثرية مسلمة في القرن الإفريقي، ولها تاريخ من النفوذ العثماني.

وتحاول تركيا أن ترسخ قوتها الناعمة في إفريقيا من خلال بناء المدارس والمساجد وترميم الآثار حيث رممت تركيا على سبيل المثال مؤخرًا قبر النجاشي وعددًا من قبور الصحابة في إثيوبيا، وقد قال الرئيس التركي في زيارته لشرق إفريقيا: "إن البعض جاء لإفريقيا من أجل الذهب لكن تركيا أتت لإفريقيا لكي تضمد الجراح"[3] وبسبب الاهتمام التركي الكبير بأفريقيا، ارتفعت صادرات تركيا إلى أفريقيا بنسبة كبيرة جدا، وتتمثل الصادرات التركية مواد منها الحديد والصلب والوقود المعدني ومواد التشحيم، والملابس الجاهزة، علما بأن الشركات التركية لديها مساهمات بارزة في بناء مؤسسات رسمية واجتماعية واقتصادية في أفريقيا. وقد

1 تركيا وإفريقيا ... علاقات اقتصادية واعدة، نقلا عن :
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/economy/2016/3/13، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/12)
2 المرجع نفسه.
3 Solmaz, Mehmet, Erdogan We cannot remain silent on Afrika, Daily Sabah, 27 jan 2015. In:
http://www.dailysabah.com/politics/2015/01/27/erdogan-we-cannot-remain-silent-on-africa

وصل حجم التبادلات التجارية بين الجانبين عام 2013 إلى نحو 23.4 مليار دولار، وقارب 25 مليار دولار عام 2015.

وإلى جانب الاستثمارات والمساعدات الاقتصادية، قدمت أنقرة مساعدات في مجالات الصحة والأعمال الخيرية إلى عدد من الدول الأفريقية. وساهمت أنقرة عام 2013 بنحو 781 مليون دولار في مشاريع الإغاثة الرسمية ببعض الدول الأفريقية، وافتتحت رئاسة إدارة التعاون والتنسيق التركية مكاتب لها بدول القارة، ولديها مشاريع شملت أكثر من 37 دولة[1].

وفي إطار توطيد العلاقات بين الطرفين قامت مدينة إسطنبول بتنظيم ملتقى اقتصادي بين إفريقيا وتركيا في شهر تشرين الثاني العام 2016، جمع رجال الأعمال وكبار الشخصيات الاقتصادية الإفريقية والتركية. وقام مجلس العلاقات الاقتصادية الخارجية التركي بإنشاء مجالس عمل مع 35 دولة افريقية لتطوير العلاقات التجارية بين الطرفين. وفي مدينة أنطاليا تم عقد اجتماع لوزراء زراعة دول الاتحاد الإفريقي مع نظيرهم التركي في شهر نيسان العام 2017.

وبمبادرة من جمعية "رجال الأعمال الأفروتركية" في أيلول العام 2016 عقدت في إسطنبول "القمة العالمية التركية–الإفريقية" شاركت فيها 48 دولة افريقية وأكثر من 5000 من رجال الأعمال الأتراك والأفارقة.

وبدعوة من الرئيس التركي أطلق الهلال الأحمر التركي حملة "فلتكن أنت الأمل" في العام 2017 من أجل جمع التبرعات لدول شرق إفريقيا. وفي نفس العام أيضاً تم تنظيم مؤتمر "الصحة في إفريقيا" حضره وزراء صحة الاتحاد الإفريقي والعديد من المؤسسات الصحية التركية والإفريقية، بهدف بحث المشاكل التي يعاني منها القطاع الصحي الإفريقي والعمل على إيجاد حلول لها، وتقديم المساعدات والتجهيزات التركية.

1 تركيا وإفريقيا ... علاقات اقتصادية واعدة، نقلا عن :
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/economy/2016/3/13 تاريخ تصفح الموقع (2020/11/15).

في شهر أيلول العام 2017 بدأ العمل في مركز التدريب العسكري الذي أنشأته تركيا في مقديشو العاصمة الصومالية، وذلك بهدف تدريب الجنود الذين سوف يبنى منهم الجيش الوطني الصومالي. وقام الرئيس التركي بزيارة تاريخية إلى جمهورية الجزائر في شهر شباط العام 2018، وشملت الجولة كلاً من موريتانيا والسنغال ومالي[1]. وعليه فقد اعتمدت تركيا في عملية إعادة بعث وإحياء العلاقات التركية – الإفريقية على بعدين أساسيين هما البعد الاقتصادي والحضاري الديني، وقد نجحت في ذلك إلى حد بعيد.

المحور الرابع: مكانة إفريقيا ضمن الإستراتيجية التركية ومستقبل العلاقات بين الطرفين.

تكمن دوافع التوجه التركي نحو إفريقيا في أهمية المنطقة الإستراتيجية وكذلك أهميتها البالغة بالنسبة للاستراتيجية التركية ويمكن إجمال هذه الأهمية في النقاط التالية[2]:

1. تضم إفريقيا 54 دولة يزيد عدد سكانها عن مليار نسمة، وهي ثاني أكبر قارة من حيث المساحة وعدد السكان، إضافة لكونها غنية بالموارد والثروات.
2. هي القارة الأكثر شبابًا من حيث أعمار السكان، حيث أن 70% من السكان تحت عمر 25، فيما يبلغ متوسط الأعمار في إفريقيا 18 ويرتبط هذا مباشرة بموضوع القوى العاملة والأسواق.
3. تعتبر القارة صاحبة الاقتصاد الأسرع نموًّا، حيث تقع 10 دول إفريقية ضمن لائحة الدول 64 الأسرع نموًّا في العالم لسنة 2014/2013.

1 حسن العاصي، "تركيا – افريقيا : شراكة استراتيجية أم مناورة تكتيكية"، مارس 2018، نقلا عن : https://www.z-dz.com، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/18)

2 محمود سمير الرنتيسي، "الدور التركي في شرق إفريقيا : الدوافع والمكاسب "، مركز الجزيرة للدراسات، مارس 2015، نقلا عن :
https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/03/201531585843487857.html تاريخ تصفح الموقع (2020/11/13)

وتأتي منطقة شرق إفريقيا ثانيةً بعد غرب إفريقيا من حيث سرعة نمو الاقتصاد، وفيما يتعلق بالاستثمار الأجنبي فقد جذبت القارة الإفريقية استثمارات أجنبية ضخمة، ويتوقع أن يزيد حجم هذه الاستثمارات في السنوات القادمة.

أما من ناحية الأهمية الإستراتيجية لموقع القارة فهي[1]:

1. تطل على ممرات مائية ذات أهمية تجارية وعسكرية مثل خليج عدن ومضيق باب المندب، وتتحكم بالدخول إلى البحر الأحمر.
2. ترتبط المنطقة بمصالح كل القوى الدولية بسبب قربها من منابع الطاقة في المنطقة وممرات نقلها.
3. هناك تنافس بين القوى الإقليمية والعالمية على التحكم في الجزر التابعة لدول القرن الإفريقي.
4. تعتبر منطقة القرن الإفريقي منبعًا لنهر النيل، وهذا له انعكاسات أمنية وتنموية.
5. تحتل المنطقة أهمية كبيرة في مقاربات الأمن القومي لكل دول المنطقة.
6. توجد أهمية اقتصادية متزايدة فيها فيما يتعلق بالأسواق والمشاريع الاقتصادية والاستثمارات الأجنبية.
7. يُتوقع أن يتم اكتشاف حقول للغاز الطبيعي قبالة سواحل المنطقة.

وقد حرص الجانب التركي على بعض القضايا الرئيسية وعلى تطويرها في إطار علاقته مع دول القارة الإفريقية، وذلك إدراكاً من الجانب التركي لأهمية الوزن النسبي للقارة الإفريقية في التأثير على النظامين الإقليمي والعالمي، وضرورة تعزيز التوافق في الرؤى والتوجهات السياسية المتبادلة حيال القضايا ذات الاهتمام المشترك.

وتعتبر المساهمة التركية في مجال الحفاظ على السلم والأمن أحد محاور المكون السياسي لخطة عمل "الانفتاح على إفريقيا" والمتعلق بالمساعدات الإنسانية وحفظ السلم في

1 الخولاني، علي حسن، "تحديد وأهمية منطقة القرن الإفريقي"، موقع التغيير، يناير/كانون الثاني 2015 نقلا عن : http://www.al-tagheer.com/art30564.html تاريخ تصفح الموقع (2020/11/19)

إفريقيا، حيث ساهمت تركيا بقوة في بعثات حفظ السلم تابعة للأمم المتحدة في إفريقيا، وذلك لأجل تعزيز تنمية السلم والاستقرار السياسي في القارة الإفريقية، حيث قدمت تركيا الدعم المالي والبشري في نحو تسعة عمليات لحفظ السلم في القارة وذلك منذ عام 2008[1].

ومن العوامل التي تجعل أيضاَ إفريقيا ذات أهمية قصوى بالنسبة لأنقرة في كون القيادة التركية تحرص على ألا يفوتها التنافس الدولي الإقليمي على التغلغل والنفوذ في القارة الإفريقية ذات الأهمية الإستراتيجية الكبرى على صعيد العلاقات الدولية، في خضم سعيٍ محمومٍ بين قوى آسيوية ولاتينية صاعدة، مثل الصين والهند وكوريا الجنوبية والبرازيل، إضافة إلى الدول الأوروبية (المستعمر السابق لدول القارة) والولايات المتحدة الأمريكية (ذات النفوذ التقليدي في إفريقيا) للاستفادة من الخيرات الوفيرة في القارة، هذا إلى جانب كلٍّ من إيران وإسرائيل على الصعيد الشرق أوسطي.

ويبدو أن القيادة التركية قد حسمت أمرها لمنافسة الكبار على الصعيد الاستراتيجي في القارة الإفريقية، فجاء قرار تدشين القاعدة العسكرية التركية في الصومال، في سياق حروب القواعد العسكرية في القرن الإفريقي ذي الأهمية الإستراتيجية الكبرى، حيث تمتلك: (الولايات المتحدة، وفرنسا، واليابان، والصين) قواعد عسكرية في منطقة القرن الإفريقي.

وفي هذا السياق تسعى تركيا لتسويق تمدّدها في القارة السمراء بعيداً عن منطلقات القوى الدولية الأخرى، والتي انتقدها أردوغان من طرفٍ خفي، خلال زيارته إلى شرق إفريقيا في يونيو 2016م، بقوله: إنّ تركيا تولي اهتماماً كبيراً بالقارة الإفريقية، وسياستها تجاهها لا تشبه أي سياسات أخرى، وهي على ثقةٍ أن النصف الثاني من القرن الحالي سيكون عصر إفريقيا

1 Chigozie Enwere , « The Dimensions and challenge of Turkey- Africa , political Relations : A Historical Analytical Inquiry « Turkish journal of politics (Vol .5 , No -1 , summer.2014) p.70.

الحقيقي، محفّزاً زعماء القارة للانفتاح على تركيا بقوله: "إنه على إفريقيا أن تختار شركاءها بعناية، في مسيرة كفاحها لإثبات نفسها"[1].

ومن هذا المنطلق يتوقع للعلاقات التركية – الإفريقية إنها ستشهد ازدهاراً كبيرا في السنوات القليلة المقبلة، إذا ما سارت الشراكة والتعاون بين الطرفين بنفس الوتيرة الحالية، وإذا استطاعت تركيا أن تكسب الثقة الكاملة للشعوب الإفريقية وتخليصها وتحريرها من تبعيتها للقوى الاستعمارية.

الخاتمة:

ما يمكن أنه نقوله هو أن العلاقات التركية –الإفريقية تعد علاقات تاريخية متجذرة، تعود إلى عهد الامبراطورية العثمانية، أثناء تواجدها في أقاليم إفريقيا شمال الصحراء، وقد مرت هذه العلاقات بمراحل من الازدهار والتراجع خاصة في فترة الدولة الكمالية، غير إنها تشهد تحسناً ملحوظاً منذ 2005.

ويعد البعد الاقتصادي والديني العاملان الأبرز توظيفاً في الإستراتيجية التركية اتجاه المنطقة، مع أولوية البعد الاقتصادي، ولكن يلعب البعد الديني عامل تحفيز وقبول التواجد التركي في المنطقة بنكهته الإسلامية التي يفضلها الأفارقة، كل هذا في إطار أن تركيا تلقى استحسان لدى الشعوب الإفريقية كونها ليس لها ميراث استعماري في القارة السمراء، وبالرغم من ذلك فالإمبراطورية العثمانية كان لها دائماً وجود في أقاليم إفريقيا شمال الصحراء خلال القرنين 15 و16، ولعبت دورا بارزا في مواجهة التدخلات البرتغالية في شمال إفريقيا عبر المساعدات العسكرية، وطالما اعتبرت تركيا أن المنطقة جزء منها وينبع ذلك عن جملة من الاعتبارات الثقافية لعل أهمها الدين الإسلامي.

1 مصطفى شفيق علام، " التغلغل الناعم : إفريقيا في الإستراتيجية التركية ... المحددات والسياقات والتحديات"، قراءات إفريقية، 2017/06/08
، نقلا عن: https://www.qiraatafrican.com/home/new، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/15)

ويمثل عام 1998 نقطة التحول في العلاقات بين الطرفين حيث أعلنت تركيا خطة "الانفتاح على إفريقيا"، وتهدف من خلالها إلى تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية، وأخذ هذا المنحى دفعة قوية بوصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم سنة 2002.

وما يدعم العلاقات التركية الإفريقية هو انتهاج تركيا "الدبلوماسية الناعمة" في المنطقة ومحاولة الترويج للنخب الحاكمة التركية واستراتيجياتها اتجاه إفريقيا ودعم قضاياها.

هذا في ظل وجود جوانب من التقارب الثقافي بين الطرفين والتي على رأسها الدين الإسلامي، هذا المتغير الذي يسعى صانع القرار التركي إلى توظيفه وجعله بوابة تركيا إلى القارة السمراء، كل ما سبق نجح في أن يكون لدى الأفارقة صورة تركيا الدولة الصديقة للشعوب الإفريقية.

وتعد السياسة الخارجية التركية تجاه القارة الإفريقية من أنجح سياستها واستراتيجياتها الخارجية خلال السنوات الماضية بسبب التطور الدبلوماسي والاقتصادي في فترة قياسية من جهة، وبسبب الانطباع الإيجابي عن تركيا لدى الشعوب الإفريقية من جهة أخرى.

كما يتضح التركيز على البعد الاقتصادي والبعد الديني ضمن خطة تركية متدرجة ومتوازية مع العمل الدبلوماسي بدأت تُنفَّذ بشكل عملي واضح منذ 2008 وتحديدًا في شرق القارة، وترتكز تركيا في علاقاتها مع إفريقيا على أدوات القوة الناعمة مثل المساعدات الإنسانية والتعليم وبناء المستشفيات ودعم المرأة، وتستفيد من العلاقات الدينية في دول مثل الصومال وجيبوتي.

تعتمد تركيا سياسة تجمع بين الأهداف قصيرة وبعيدة المدى، ويبدو أن عوامل نجاحها أكبر من العوائق التي تتحداها وإذا ما بُذلت جهود أكبر فإن تحقق أهداف تركيا يبدو الأقرب، شرط استتباب استقرار المنطقة أمنياً الذي يعد عنصرًا مهمًّا لنجاح تركيا.

المراجع

ريجيس دوبرية، المشتركات البشرية بديلا عن الدين، تقديم هبة رؤوف عزت، 2005، نقلا عن : http: www.islamonline.com، تاريخ التصفح (2020/10/11)

موسوعة الملل والأديان، نقلا عن : http :www .dorar.net/enc/adyan/5,20108/8/2008. تاريخ التصفح (2020/11/09)

فراس سواح، "دين الإنسان" بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط4، (سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002) ص، 25.

ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، ط1 (لبنان: دار الكتاب العربي، 1985) ص، 179.

الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، "العوامل المؤثرة في العلاقات الدولية " نقلا عن : https://www.politics-dz.com تاريخ التصفح (2020/11/10)

هايل عبد الله طشطوش، مقدمة في العلاقات الدولية، (الأردن: 2010) ص، 18.

جوزيف فرانكل، العلاقات الدولية، ترجمة غازي عبد الرحمان لقصيبي تهامة، ط2 (جدة : 1984) ص، 103.

مصطفى اللباد، تركيا والعرب شروط التعاون المثمر، من كتاب تركيا تحديات الداخل ورهانات الخارج (قطر: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)، ص .218

عقيل سعيد محفوض، السياسة الخارجية التركية الاستمرارية – التغيير (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص. 161.

علاء الدين دوغرو، تركيا وايجابية الانفتاح على إفريقيا (مقابلة : السفير التركي، أحمد قواس)، شبكة موقع الأناضول، نقلا عن : https://www.aa.com.tr/ar، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/20).

زاش فرتين، تركيا والوضع الجديد في إفريقيا : مخططات عثمانية أم مخاوف غير مبررة، نقلا عن :

تركيا وإفريقيا ... علاقات اقتصادية واعدة، نقلا عن :

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/economy/2016/3/13، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/12)

حسن العاصي، "تركيا – افريقيا : شراكة استراتيجية أم مناورة تكتيكية"، مارس 2018، نقلا عن : https://www.z-dz.com، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/18)

محمود سمير الرنتيسي، "الدور التركي في شرق إفريقيا : الدوافع والمكاسب "، مركز الجزيرة للدراسات، مارس 2015، نقلا عن :
https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/03/201531585843487857.html تاريخ تصفح الموقع (2020/11/13)

الخولاني، علي حسن، "تحديد وأهمية منطقة القرن الإفريقي"، موقع التغيير، يناير/كانون الثاني 2015 نقلا عن : http://www.al-tagheer.com/art30564.html تاريخ تصفح الموقع (2020/11/19)

مصطفى شفيق علام، " التغلغل الناعم : إفريقيا في الإستراتيجية التركية ... المحددات والسياقات والتحديات"، قراءات إفريقية، 2017/06/08، نقلا عن:
https://www.qiraatafrican.com/home/new، تاريخ تصفح الموقع (2020/11/15)

janathan fox and Shmuel sandler. Bringing religion into international relation .New York. palgrave macmillan. 2004 .p2.

Yucel Bodaglioglu , « Modernity ,Identity , and Turkey ‘s foreign policy », Insight Turkey , (Vol.10 ,No.1,2008) ,p.70.

Muharrem EKSI. Mehmet Seyfettin EROL , « the Rise and fall of Turkish soft power and public diplomacy », journal of gazi acadimic view , (Vol.11,Issue 23 , Winter 2018) ,p .9, availabel at : http://bit.ly/2nf5uwd

Chigozie Enwere , « The Dimensions and challenge of Turkey- Africa , political Relations : A Historical Analytical Inquiry « Turkish journal of politics (Vol .5 , No -1 , summer.2014) p.70.

Solmaz, Mehmet, Erdogan We cannot remain silent on Afrika, Daily Sabah, 27 jan 2015. In:
http://www.dailysabah.com/politics/2015/01/27/erdogan-we-cannot-remain-silent-on-africa.